ديار المغرب

وأما المغرب، فهو نصفان يمتدان على بحر الروم: نصف من شرقية، ونصف من غربية، فأما الشرقي: فهو برقة، وأفريقية، وتاهرت، وطنجة، والسوس، وزويلة، وما في أضعاف هذه الأقاليم، وأما الغربي: فهو الأندلس، وقد جمعتهما في التصوير، فأما الجانب الشرقي: فإن الذي يحيط به من شرقيه حد مصر بين الإسكندرية، وبرقة من حد بحر الروم حتى يمضي على ظهر الواحات إلى برية تنتهي إلى أرض النوبة، وغربيه البحر المحيط ممتدا على حده، وشمالية بحر الروم الذي يأخذ من البحر المحيط، يأخذ من حد مصر على ما يحاذي برقة إلى طرابلس المغرب، ثم على المهدية، ثم إلى تونس، ثم إلى طبرقة، ثم إلى تنس، ثم على جزيرة بني مزغنا، ثم إلى ناكور، ثم إلى البصرة، ثم إلى أزيلة، ثم إلى السوس الأقصى، ثم يمتد على برية ليس وراءها عمارة، وجنوبية رمل من حد البحر المحيط حتى يمتد من وراء سجلماسة إلى زويلة، ثم يمتد إلى ظهر الواحات من أرض مصر، وأما الأندلس فإنه يحيط به مما يلي البحر المحيط من حد بلد الجلالقة على كورة يقال لها: شنترين ثم إلى أخشنبة، ثم إلى إشبيلية، ثم إلى سدونة، ثم إلى جزيرة جبل طارق، ثم إلى مالقة، ثم إلى بجانة، ثم إلى بلاد مرسية، ثم إلى بلاد بلنسية، ثم إلى طرطوشة، ثم يتصل ببلاد الكفر مما يلي البحر ببلاد الإفرنجة، ومما يلي البر ببلاد علجسكس، ثم ببلاد بسكونس، ثم ببلاد الجلالقة حتى ينتهي على البحر.

فأما برقة فإنها مدينة وسطة، ليست بكبيرة وحواليها كورة عامرة كبيرة وهي في مستو من الأرض خصبة، ويطيف بها من كل جانب بادية يسكنها طوائف من البربر، وقد كان يخرج إليها عامل من مصر، إلى أن ظهر المهدي عبيد الله المستولي على المغرب فاستولى عليها، وأزال عمال مصر.

وأما طرابلس المغرب، فهي من عمل أفريقية، وهي مدينة مبنية من الصخر على ساحل بحر الروم خصبة واسعة الكورة حصينة جدا، وأما المهدية، فإنها مدينة صغيرة استحدثها عبيد الله المستولي على المغرب، وسماها بهذا الاسم وهي على البحر، وعبيد الله تحول إليها من القيروان، وهي من القيروان على يومين، وتونس مدينة كبيرة خصبة واسعة المياه والزروع، وهي أول عدوة الأندلس يعبر منها ولا يعبر من دونها؛ إلا من المدن التي تلي المغرب؛ لأنها أول مدينة تحاذي الأندلس، وما دونها محاذ لبلاد الإفرنجة، وطبرقة مدينة صغيرة وبية بها عقارب قاتلة نحو: عقارب عسكر مكرم، وبها في البحر معدن المرجان وليس يعرف في الأرض معدن للمرجان إلا بها، وأما تنس فهي مدينة كبيرة، وهي عدوة إلى الأندلس أيضا، إلا أنها وبية، وجزيرة بني مزغناة مدينة عامرة يحف بها طوائف من البربر، وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن، وناكور على شط البحر مدينة كبيرة يعبر منها أيضا إلى بجانة، وهي مدينة حصينة خصبة، والبصرة مدينة كبيرة واسعة خصبة، وهي بحذاء جزيرة جبل طارق، وبينها وبين الجزيرة المذكورة عرض البحر اثنا عشر فرسخا.

وأزيلة مدينة كبيرة على شط البحر المحيط، وهي خصبة كثيرة الخير، وهي أقصى المعابر إلى الأندلس، والسوس الأقصى اسم المدينة، إلا أنها كورة عظيمة ذات مدن، وقرى وسعة، وخصب، ويحتف بها طوائف من البربر، وأما البصرة وأزيلة فهما من أقليم طنجة، وطنجة هي كورة عظيمة تحيط بمدن، وقرى، وبواد من البربر كثيرة، ومدينتها العظمى التي هي القصبة تسمى فاس، وهي المدينة التي بها يحيى الفاطمي، ولم يفتحها عبيد الله الخارج بالمغرب إلى حين تصنيف هذا الكتاب، وأما ناكور وجزيرة بني مزغنا في مدن وقرى كثيرة فقريبة من تاهرت الأعلى، ومدينة كورة تاهرت اسمها تاعرت، وهي

مدينة كبيرة خصبة واسعة البرية والزروع والمياه، وبها الأباضية وهم الغالبون عليها، وسجلماسة مدينة وسطة من حد تاهرت، إلا أنها منقطعة لا يسلك إليها إلا في القفار والرمال، وهي قريبة من معدن الذهب بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة، ويقال: إنه لا يعرف معدن للذهب أوسع ذهبا ولا أصفى منه إلا أن المسلك إليه صعب والاستعداد شاق جدا، وهي من مملكة عبيد الله، ويقال: إن كورة تاهرت باسرها من أفريقيا إلا أنها مفردة بالاسم والعمل في الدواوين.

وسطيف مدينة كبيرة بين تاهرت وبين القيروان، وهي حصينة ولها كورة تشتمل على قرى كثيرة، وعمارة متصلة، وسكانها كتامة قبيلة من البربر بهم ظهر عبيد الله، وكان أبو عبد الله المحتسب الداعي إلى عبيد الله مقيما بينهم حتى تمهد أمره بهم، والقيروان هي أجل مدينة بأرض المغرب خلا قرطبة بالأندلس، فإنها أعظم منها، وهي المدية التي كان يقيم بها ولاة المغرب، وبها كان مقام الأغلب وبنيه، إلى أن أزال ملكهم أبو عبد الله المحتسب، وخارج القيروان أبنية كانت معسكر آل الأغلب، ومقامهم بها كان، وتسمى الرقادة إلى أن استحدث عبيد الله المهدية على شط البحر، فأقام بها وانتقل عن رقادة، وأما زويلة فإنها من حد المغرب وهي مدينة وسطة لها كورة عريضة هي متاخمة لأرض السودان وبلدان السودان بلدان عريضة، إلا أنها قفرة قشفة جدا، ولهم في جبال لهم فيها عامة ما يكون في بلاد الإسلام من الفواكه، إلا أنهم لا يطعمونه ولهم أطعمة يتغذون بها من فواكه ونبات، غير ذلك مما لا يعرف في بلدان الإسلام، والخدم السود الذين يباعون في بلدان الإسلام منهم، وليس هم بنوبة، ولا بزنج، ولا بحبشة، ولا من البجة، إلا أنهم جنس على حدة أشد سوادا من الجميع وأصفى، ويقال: إنه ليس في أقاليم السودان من الحبشة، والنوبة، والبجة، وغيرهم إقليم هو أوسع منه، ويمتدون إلى قرب البحر

المحيط، مما يلي الجنوب ومما يلي الشمال على مفازة ينتهي إلى مفاوز مصر، من وراء الواحات ثم على مفاوز بينها وبين أرض النوبة، ثم على مفاوز بينها وبين أرض الزنج، وليس لها اتصال بشيء من الممالك والعمارات، إلا من وجه المغرب؛ لصعوبة المسالك بينها وبين سائر الأمم ، وهذه جوامع ما يحتاج إلى معرفته من شرقي البحر من المغرب.

وأما الغربي من المغرب فهو الأندلس، والأندلس بلدان عريضة كثيرة المدن خصبة واسعة ومدينتها العظمى تسمى قرطبة، وهي من الأندلس في وسطها والذي يحيط بالأندلس البحر المحيط، ثم يطوف بحر الروم بها إلى أرض إفرنجة، فيأخذ من مدينة شنترين إلى أخشنبة، ثم إلى إشبيلية، ثم إلى سدونة، ثم إلى الجزيرة، ثم إلى مالقة، ثم إلى بجانة، ثم إلى بلاد مرسية على مدينة لقنت على بلاد بلنسية، ثم إلى طرطوشة، وهي آخر المدن التي على البحر ثم يتصل من جهة البحر ببلاد الإفرنجة، ومن جهة البر يتصل ببلاد علجسكس، وهي بلاد حرب من النصارى، ثم يتصل ببلاد بسكونس، وهم أيضا نصارى ثم يتصل ببلاد الجلالقة وهم نصارى أيضا فينتهي من الأندلس حدان إلى دار الكفر وحدان إلى البحر، وهذه المدن التي ذكرناها على الشط كلها مدن كبار عامرة، والأندلس في أيدي بني أمية ما افتتحت لبني العباس، ولا قدر عليها عبيد الله ولما زالت دولة بني مروان، عبر إليه من أزيلة المغرب إلى جزيرة جبل طارق بعض بني أمية، فتغلب عليها فهي من أيديهم إلى وقت تصنيفنا هذا الكتاب.

ومن مشاهير مدن الأندلس: جيان، وطليطلة، ونفزة، وسرقصطة، ولاردة، ووادي الحجارة، وترجالة وقورية، وماردة، وباجة، وغافق ولبلة، وقرمونة ومورور وإستجة ورية، وهي كلها مدن عظام، وليس فيها ما يقارب

قرطبة في العظم والكبر، وأكثر أبنيتها من حجارة، وهي أبنية جاهلية، لا تعرف فيها مدينة محدثة إلا بجانة؛ فإنها محدثة في حد بلاد يقال لها: البيرة، وشنترين التي على البحر المحيط بها يقع العنبر، ولم نعلم ببحر الروم والبحر المحيط موضع عنبر إلا بشنترين، وشيء وقع في أيام مقامي بالشام بسواحل الروم، وتقع بشنترين في وقت من السنة من البحر دابة تحتك بحاجرة على شط البحر، فيقع منها وبر في لين الخز، لونه لون الذهب لا يغادر منه شيئا، وهو عزيز قليل فيجمع وتنسج منه ثياب، فتتلون في اليوم ألوانا، ويحجر عليها ملوك بني أمية، ولا ينتقل إلا سرا وتزيد قيمة الثوب على ألف دينار؛ لعزته وحسنه، ومالقة سكانها عرب وبها السفن الذي تتخذ منه مقابض السيوف، وجزيرة جبل طارق منها افتتح الأندلس في أول الإسلام، وجبل طارق جبل عامر حصين بالقرى والمدن، وهو آخر المعابر بالأندلس، وطليطلة مدينة في جبل عال بناؤها من حجارة، قد وثقت بالرصاص، وحواليها سبعة أجبل كلها عامرة منيعة مسكونة وحولها نهر عظيم يقارب في الكبر دجلة، واسم هذا النهر تاجه يخرج من بلد يقال لها: شنتبرية، ووادي الحجارة مدينة، وهي وما حواليها من المدن والقرى تعرف بمدن بني سالم، وربة كورة عظيمة خصيبة، ومدينتها أرجدونة، ومنها كان عمر بن خفصون الذي خرج على بني أمية بها، وفحص البلوط كورة خصبة واسعة ومدينتها غافق، وقورية مدينة كانت كبيرة إلا أنها خربت بعصبية وقعت بينهم فاستعان أحد الفريقين بالجلالقة النصارى حتى خربوها، وماردة من أعظم مدن الأندلس، وكذلك طليطلة، وهما ممتنعان ليس بهما عامل لبني أمية، إلا أنه يخطب بهما لهم، وشنترين كورة عظيمة ومدينتها قلمرية، وثغور الجلالقة ونفزة، ووادي الحجارة، وطليطلة، ومدينة الجلالقة، مما يلي ثغور الأندلس يقال لها: سمورة، وعظيم الجلالقة بمدينة يقال لها: أبيط هي بعيدة عن بلدان الإسلام، وليس في أصناف الكفر الذين يلون الأندلس أكثر عددا من الإفرنجة ويقال لملكهم: قارله غير أن

الذين يلون المسلمين منهم أقل من سائر أجناس الكفر لدخولهم في البحر والحاجز الذي بينهم وبين الإفرنجة من بلدان الشرك من غيرهم، ثم الجلالقة يتلونهم في الكثرة، وأقلهم عددا البسكونس وهم أشد شوكة، والذين يتلون البسكونس من ثغور الأندلس سرقسطة، وتطيلة، ولاردة، ويليهم قوم من النصارى يقال لهم: علجسكس أقلهم غائلة، وهم الحاجز بينهم وبين الإفرنجة.

والبربر الذين هم بأرض الأندلس وسائر المغرب صنفان:

صنف يقال لهم: البتر، وصنف يقال لهم: البرانس، فنفزة، ومكناسة، وهوارة، ومديونة من البتر وهم بالأندلس، وكتامة، وزناتة، ومصمودة، ومليلة، وصنهاجة من البرانس، فأما زناتة فأوطانها بناحية تارهت، وأما كتامة فأوطانها بناحية سطيف، وسائر البربر الذين هم من البرانس فمفترشون في سائر المغرب من شرقي بحر الورم، وأما نفزة ومكناسة فهم بالأندلس بين الجلالقة وبين مدينة قرطبة، وأما هوارة ومديونة فهم سكان شنتبرية.

وبكورة البيرة حرير كثير يفضل ويقدم على غيرة وبالأندلس معادن كثيرة من الذهب وبها معادن فضة بناحية البيرة ومرسية وبقرب قرطبة بموضع يقال له: كرتش، وتفسيره بالعربية الديار، وبناحية تطيلة سمور كثير.

وزويلة بلد في وجه أرض السودان، وهؤلاء الخدم السود أكثرهم يقع إلى زويلة، وأرض المغرب ما كان منها في شرقي بحر الروم بقرب الساحل فتعلوهم سمرة، وكلما تباعدوا فيما يلي الجنوب والمشرق ازدادوا سوادا؛ حتى ينتهوا إلى بلد السودان، فيكون الناس بها أشد الأمم سوادا، ومن كان في غربي بحر الروم بالأندلس فهم بيض زرق، وكلما ازدادوا وتباعدوا إلى ما يلي

المغرب والشمال ازدادوا بياضا حتى يقطع عرض الروم كله إلى ظهر الصقالبة، فكلما ازدادوا وتباعدوا ازدادوا بياضا وزرقة، وحمرة شعر، إلا أن طائفة منهم يرجعون إلى سواد شعر وعيون، وهم صنف من الروم الجلالقة، ويقال: إن أصلهم من الشام كما أن طائفة بخرشنة من أرض الروم يرجعون إلى سواد شعر وعيون يزعمون أنهم من العرب من غسان، وقعوا إليها مع جبلة بن الأيهم، وبين المغرب وبلد السودان مفاوز منقطعة لا تسلك إلا من مواضع معروفة، وكان ملوك أفريقية وبرقة أولاد الأغلب الذي كان قد أنفذ في أول أيام بني العباس؛ ليكون في وجه إدريس بن إدريس، وملوك طنجة أولاد إدريس بن إدريس، وبينهم وبين إفريقية تاهرت الشراة وهم الغالبون عليها، وملوك الأندلس بنو أمية ما خطب لبني العباس بها إلى يومنا هذا ويخطبون لأنفسهم، وهم من أولاد هشام بن عبد الملك، وصاحبهم في وقت تصنيف هذا الكتاب هو عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم، وأول من عبر منهم إلى الأندلس عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، في أول ولاية بني العباس فتغلب عليها وبقيت الأمارة في أولاده إلى وقت تصنيفنا هذا، والغالب على مذاهب أهل المغرب كلهم مذاهب الحديث، وأغلبها عليهم في الفتيا مذهب مالك بن أنس، والذي يقع من المغرب الخدم السود من بلاد السودان والخدم البيض من الأندلس والجواري المثمنات تأخذ الجارية والخادم من غير صناعة على وجوههما ألف دينار وأكثر، وتقع منها اللبود المغربية والبغال للسرج، والمرجان، والعنبر، والذهب، والعسل، والزيت، والسفن، والحرير، والسمور.

وأما المسافات بالمغرب فإن من مصر إلى برقة ٢٠ مرحلة، ومن برقة إلى طرابلس مثلها، ومن طرابلس إلى القيروان مثلها، فذلك من مصر إلى القيروان

٦٠ مرحلة، ومن القيروان إلى سطيف ١٦ مرحلة، ومن سطيف إلى تاهرت ٢٠ مرحلة، ومن تاهرت إلى فاس ٥٠ مرحلة، ومن فاس إلى السوس الأقصى نحو ٣٠ مرحلة، فمن القيروان إلى السوس الأقصى ١١٦ مرحلة، فجميع المسافة من مصر إلى أقصى المغرب في شرقي بحر الروم نحو ٦ أشهر، وحجاج أقصى المغرب يخرجون قرب المحرم، فيذهب في سفرهم واستراحتهم عامة السنة؛ حتى يلحقوا الحج، ومن القيروان إلى زويلة نحو شهر، ومن القيروان إلى المهدية مسيرة يومين، ومن القيروان إلى تونس ٣ مراحل، ومن تونس إلى طبرقة نحو ١٠ مراحل ومن طبرقة إلى تنس نحو ١٦ مرحلة، ومن تنس إلى جزيرة بني مزغنا ٥ أيام، ومن تاهرت إلى ناكور ٢٠ مرحلة، ومن تاهرت إلى سلجماسة نحو ٥٠ مرحلة، ومن فاس إلى البصرة ٦ مراحل، ومن فاس إلى أزيلة مراحل، ومن القيروان إلى سجلماسة في البرية نحو من ٨٠ مرحلة، وفي العمارة ١٢٠ مرحلة فهذه جوامع المسافات في المغرب في شرقي بحر الروم.

وأما مسافات الأندلس فإن قصبتها قرطبة، ومنها إلى إشبيلية ٣ مراحل، وإلى إستجة مرحلة على سمت القبلة، ومن قرطبة إلى سرقسطة ١٠ أيام، وإلى تطيلة ١٣ يوما، ومن تطيلة إلى لاردة ٤ مراحل، ومن قرطبة إلى طليطلة ٦ أيام، ومن طليطلة إلى وادي الحجارة يومان، ومن قرطبة إلى مكناسة ٤ أيام، ثم إلى هوارة مثلها، ثم إلى نفزة ١٠ أيام، ومن نفزة إلى مدينة سمورة ٤ أيام، ومن قرطبة إلى قورية ١٢ يوما، ومن قورية إلى ماردة ٤ أيام ومن قورية إلى باجة ٦ أيام، ويأخذ في طريق ماردة مما يلي أخشنبة فمن قرطبة إلى إشبيلية إلى باجة إلى ماردة إلى قورية إلى قلمرية مدينة شنترين العظمى، ومن باجة إلى شنترين ١٢ يوما، وإلى أقصى كور شنترين ٥ أيام، ومن قرطبة إلى فحص البلوط يومان إلى مدينتها المعروفة بغافق، ومن فحص البلوط إلى لبلة ١٤ يوما، وإشبيلية على طريق سدونة، ومن قرطبة إلى قرمونة ٤ أيام، ومن قرمونة إلى إشبيلية ٣ أيام،

ومن إستجة إلى مورور مرحلة، ومن مورور إلى سدونة يومان، ومن مورور إلى جبل طارق ٣ أيام، ومن إستجة إلى مالقة ٧ أيام، ومالقة شرقي قرطبة، وإستجة قبليها، ومن إستجة إلى أرجدونة ٣ مراحل، ومن قرطبة إلى بجانة ٤ أيام ومن قرطبة إلى مرسية ١٤ يوما، ومن قرطبة إلى مدينة بلنسية ١٨ يوما، ومن طرطوشة إلى بلنسية ٥ مراحل، ومن مرسية إلى بجانة ٦ أيام، ومن بجانة إلى مالقة نحو ١٠ أيام، ومن مالقة إلى جزيرة جبل طارق ٤ أيام، ومن الجزيرة إلى سدونة ٣ أيام، ومدينة سدونة قلسانة، ومنها إلى إشبيلية ٤ أيام، وإلى قرمونة ٣ أيام، فهذه جوامع المسافات بالأندلس، وقد أتينا على جوامع ما أردناه من المغرب وتتلوه أرض مصر في حد بلاد الإسلام راجعا إلى المشرق.